بلاغة الأسلوب المحوري
في بيان النبوة
أحاديث تصحيح المفاهيم
في الصحيحين نموذجًا

دكتـــــور

حمدي علي أبوالمحاسن البهوي

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالمنصورة . جامعة الأزهر

بلاغة الأسلوب المحوري في بيان النبوة . أحاديث تصحيح المفاهيم في الصحيحين نَموذجًا.

حمدي علي أبوالمحاسن البهوي
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

إن البيان النبوي الشريف، كلام رباني المعاني، محمدي اللبنات والمباني، فهو بيان فريد في طبيعته وبلاغته. ولذلك البيان الفريد من السمات البلاغية الفريدة ما يمثل خَصوصيات بيانية فريدة، آثر هذا البحث أن يقف أمام إحداها، ألا وهي: خَصوصية الأسلوب المحوري في بيان النبوة. فالمتأمل في ذلك البيان النبوي الشريف، تستوقفه تلك الخَصوصية، حيث يُبنى الحديث على أسلوب محوري رئيس، يمثل نقطة الدائرة، وعمود الخيمة لبناء نظم الحديث، ثم تتعانق معه أساليب بلاغية أخرى؛ وفاءً بحق المعنى المراد. ولكل مقام أسلوبٌ محوريٌّ يلائمه. هذا، وقد ولدت خَصوصية الأسلوب المحوري في بيان النبوة من رحم أسلوب الإيجاز الذي تميز به بيان النبوة الشريف. ولما كانت الأنفس البشرية تترسخ في عوالمها مفاهيم شتى، تستجيب فيها لداعي الهوى، وما فطرت عليه من مركوزات راسخة، وما اكتسبته من موروثات خاطئة؛ كانت تلك النفس في حاجة ماسَّة لهدي النبوة وما له من منهج قويم، يصحح تلك المفاهيم؛ لتمضي النفس في رحاب أنوار الوحيين الشريفين، ومن هنا كانت أحاديث تصحيح المفاهيم في الصحيحين ميدانًا يمضي هذا البحث في جنباته.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب . المحوري . بيان . النبوة . تصحيح . المفاهيم . الصحيحين.

The eloquence of the pivotal method in explaining the prophecy, the hadiths of correcting concepts in the Two Sahihs as a model

Hamdi Ali Abu Al-Mahasin Al-Bahwi

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.

Email: hamdyalbahwy.32@azhar.edu.eg

Abstract :

The noble prophetic statement, the words of Rabbani al -Maani, Muhammadi, building blocks and buildings, as it is a unique statement in its nature and rhetoric. Therefore, the unique statement of unique rhetorical features represents unique graphic characteristics, the effect of this research to stand before one of them, namely: the privacy of the axial style in the statement of prophecy. The contemplative of that noble prophetic statement is stopped by that specificity, where the conversation is based on a main pivotal style, which represents the point of the circle, and the pillar of the tent to build modern systems, with which other rhetorical methods embrace; In fulfillment of the right meaning. Each place has a pivotal method that suits it, this, and the privacy of the pivotal method was born in the statement of the prophecy from the womb of the method of briefing that characterized the statement of the noble prophecy . This, and since the human souls are rooting in their worlds various concepts, in which they respond to the preacher of passion, and the creatures that were broken on it, as well as the wrong legacies; That soul was in insult to the guidance of prophecy and its valid approach, correcting these concepts; The soul goes on the lights of the lights of the two honorable revelations, and from here the hadiths of correcting concepts in the two Sahihs were a hand, this research goes on its flanks.

Keywords: style - pivotal - statement - prophecy - correction - concepts - the two correct

مقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، وبعد:

فإن البيان النبوي الشريف هو أحد الوحيين، وثاني المصدرين الرئيسين للتشريع، وهو كلام من لا ينطق عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى، فهو كلام رباني المعاني، محدي اللبنات والمباني. ولكل تلك الخَصوصيات التي لا تتوافر في غير بيان النبوة، كان لذلك البيان الفريد من السمات البلاغية الفريدة ما يمثل خَصوصيات بيانية، آثر هذا البحث أن يقف أمام إحداها، ألا وهي: خَصوصية الأسلوب المحوري في بيان النبوة.

فالمتأمل في ذلك البيان الشريف تستوقفه تلك الخصوصية، حيث يُبنى الحديث الشريف على أسلوب محوري رئيس، يمثل عمود الخيمة، ونقطة الدائرة، ثم تتعانق معه أساليب بلاغية أخرى؛ وفاءً بحق المعنى المراد.

إن خصوصية الأسلوب المحوري في بيان النبوة، بمثابة روح تسري في جسم البنية التركيبية للحديث، فتشتبك بذلك الجسم اشتباك الماء بالغصن الأخضر، إنها تتغلغل في مطاويه، وتنساب في نواحيه، فتلقي عليه بظلالها، وتخلع عليه من ردائها، وتنفخ فيه من ذاتها، فتتردد أنفاسها في جنباته، فتأتي على كل شيء فيه. وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ أثر ذلك الأسلوب المحوري في كل جزئية من جزئيات نظم الحديث، ومن ثَمَّ يُوحد بين البنية التركيبية للحديث، فتراها متشحة بوشاح ذلك الأسلوب المحوري من مُبتدَى الحديث حتى منتهاه.

ولكل مقام أسلوب محوري يلائمه، وقد ولدت هذه الخصيصة البيانية من رحم أسلوب الإيجاز، الذي تميز به بيان النبوة الشريف، فالأسلوب المحوري الرئيس أثمره الإيجاز.

هذا، ولما كانت الأنفس البشرية تترسخ في عوالمها مفاهيم شتى، تستجيب

فيها لداعي الهوى، وما فطرت عليه من مركوزات مغلوطة، فضلًا عن الموروثات الخاطئة؛ كانت في حاجة ماسة لهدي النبوة وما له من منهج مستقيم على صراط الحق، يصحح المفاهيم؛ لتمضي النفس في رحاب أنوار الوحي الإلهي، فكلما رأى النبي فهمًا غير صحيح، سطعت أنوار بيانه الشريف، تقوم اعوجاج المعوج، وتأخذ بأيدي الضال، كل ذلك في أسلوب بياني، يعتلي ذروة سنام البيان البشري، والأدب الإنساني.

ولا شك أن تصحيح المفاهيم المستقرة في أخلاد الناس مَهَمَّة شريفة وشاقَّة، تدخل في دائرة البلاغ المحمدي المبين عن الإرسال السماوي، فما أصعب أن تغير المفاهيم المتأصلة في النفوس، فهذا أمر يحتاج إلى اعتبار خصوصيات تعبيرية ما في صياغة المعاني، وذلك حتى تتأثر القلوب، وتقتنع العقول، وتستقيم المفاهيم، مع أنوار المنهج النبوي الشريف، الذي تَمُدُّه روافد أنوار المنهج الإلهي.

هذا، وقد سلك بيان النبوة طرقًا شتى، وأساليب عدة في تصحيح المفاهيم، وتقويم الأفكار، وقد كانت تلك الأساليب محاور تُبنى على أركانها تلك الأحاديث، فكل حديث شريف يقوم على أسلوب محوري، تتعانق مع ذلك الأسلوب أساليب أخرى؛ للوفاء بحق المعنى المراد.

وقد أتت تلك الأساليب المحورية ملائمة للمقامات التي استعملت فيها، وهذا من كمال البلاغة النبوية، التي سطعت عليها أنوار الوحيين؛ فهي ربانية المعاني، محمدية المباني؛ لذا فهي لون بياني فريد.

هذا، وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور، منها:

- التطلع إلى الكشف عن بلاغة الأسلوب المحوري في نقل مرادات النفس النبوية الشريفة.
- جِدَّة الموضوع، فليست هناك دراسة عالجت هذا الموضوع بلاغيًا من قبل . فيما أعلم .

- رغبة ملحة في العيش الوريف في ظلال بيان النبوة الفينان؛ أملًا في إضافة لبنة في بنيان بلاغة بيان النبوة.

أما عن الدراسات السابقة: فلم أقف على أي دراسة بلاغية تناولت هذا الموضوع، في حدود دائرة اطلاعي.

ـ وتكمن مشكلة البحث في: أن أحاديث نبوية وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، تحمل تصحيحًا للمفاهيم، وقد أتت تلك الأحاديث مبنية على أساليب محورية متنوعة؛ إذ لم يتخذ النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلوبًا واحدًا في سبيل تصحيح تلك المفاهيم، إنما اتخذ أساليب متنوعة، تلائم المقامات التي وردت فيها. وتهدف الدراسة الإجابة على أسئلة البحث، والتي أهمها:

هل اعتبر البيان النبوي أساليب محورية في تصحيح المفاهيم؟ وما الأساليب البلاغية المحورية التي اعتبرها بيان النبوة في تصحيح المفاهيم؟ وما السر وراء تنوع تلك الأساليب؟ وهل أتت تلك الأساليب ملائمة للمقامات والسياقات التي وردت فيها؟ وما سر بلاغة تلك الأساليب المحورية في نقل مرادات النفس النبوية الشريفة؟

كما تهدف الدراسة إلى: الوقوف على الأسرار والنكات الكامنة وراء أكمة الأسلوب المحوري، والذي اعتبره النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تصحيحه للمفاهيم.

هذا، وقد جاءت دراستي هذه تحت عنوان:[بلاغة الأسلوب المحوري في بيان النبوة ـ أحاديث تصحيح المفاهيم في الصحيحين نموذجًا] وقد اقتصرت حدود الدراسة على أحاديث الصحيحين، إذ اختارت نماذج منها على سبيل الاستقراء الناقص، تمثل الاتجاه الموضوعي للدراسة.

واقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مطالب،

وخاتمة، وفهارس، وبيان ذلك كما يلي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، وأهدافه، وكيفية تقسيمه، والمنهج المتبع في دراسته. ثم مهاد نظري، تليه مطالب البحث، وهي: المطلب الأول: بلاغة القصر أسلوبًا محوريًا. المطلب الثاني: بلاغة الحوار أسلوبًا محوريًا. المطلب الثالث: بلاغة الاستفهام أسلوبًا محوريًا. المطلب الرابع: بلاغة الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا. المطلب الخامس: بلاغة التعريض أسلوبًا محوريًا.

أما عن المنهج، فقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هذا، وأسأل الله . تعالى . أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في الميزان يوم تنصب الموازين، وأن يرزقني التوفيق والسداد والرشاد، اللهم آمين.

مهاد نظري

أولًا: [تحرير المصطلحات]

- **حقيقة الأسلوب:**

يقول الزبيدي: "(والأُسْلُوب): السَّطْرُ من النَّخِيل. و(الطَّرِيقُ) يَأْخُذُ فِيه، وكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَد فَهُوَ أُسْلُوبٌ، والأُسْلُوبُ: الوَجْهُ والمَذْهَبُ، يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ. ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب. وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه. وكلامُه عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنة...والأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ. يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي: أَفَانِين مِنْهُ"(١).

ويقول ابن خلدون: هو"المنوال الّذي ينسج فيه التّراكيب أو القالب الذي يفرغ به"(٢)، وذكر الأستاذ/ أحمد الشايب، أن الأسلوب: "هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني"(٣)

- **حقيقة المحور:**

يقول الخليل ابن أحمد: "الحَوْرُ: الرُّجوعُ إلى الشّيءِ وعَنْه...وكلُّ شيءٍ تَغَيَّر من حالٍ إلى حال، فقد حار يَحُور حَوْرًا...والمُحاورةُ: مُراجَعة الكلام. حاوَرتُ فلانًا في المنطق، وأَحَرْتُ إليه جوابًا...ويقال: الحَوْر: ما تحت الكَوْر من العمامة... والمِحْوَرُ: ... [الحديدة التي تدور عليها البكرة، يُقال لها: المِحْوَرةُ]...والطّريق

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح/ جماعة من المختصين،(٣/ ٧١)، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.

(٢) العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس/ خليل شحادة،(١/ ٧٨٦)، ط دار الفكر. بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ .

(٣) الأسلوب، الأستاذ/ أحمد الشايب، (ص٤٦)، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط الثانية عشرة، ٢٠٠٣م.

المُسْتَحير الّذي يأخذ في عُرْضِ مفازةٍ لا يُدْرَى أين مَنْفَذُه"[١].

وعليه فالأسلوب المحوري، هو: الذي عليه مدار الكلام، وعلى قواعده يقوم بناؤه، وينسج خيطه، فهو سَدَى الكلام ولُحمته، إنه بمثابة عمود الرحى، ونقطة الدائرة، وعمود الخيمة، فهو واسطة العقد.

ومع ذلك الأسلوب المحوري تتعانق أساليب أخرى، لكنها لا تقوم بما يقوم به الأسلوب المحوري في أداء المعاني، وإنما تسهم مع بنصيب؛ وفاءً بحق المعنى المراد.

- **حقيقة التصحيح:**

جاء في اللغة: "وصَحَّ الشيءَ: جَعَلَهُ صَحِيحًا، وصَحَّحْتُ الكتابَ والحسابَ تَصْحِيحًا إذا كَانَ سَقِيمًا فأَصلحتُ خطأَه، وأَتيتُ فُلَانًا فأَصْحَحْتُه، أَي: وَجَدْتُهُ صَحِيحًا، وَالصَّحِيحُ مِنَ الشِّعْر: مَا سَلِمَ مِنَ النَّقْصِ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ الزِّحافُ فَسَلِمَ مِنْهُ، فَهُوَ صَحِيحٌ"[٢].

وتصحيح النبي . صلى الله عليه وسلم . للمفاهيم تقويم للمعوج، وأخذ بيد الضال، وتغيير لقناعات بنيت في العقول على غير منهج الإسلام القويم.

- **حقيقة المفاهيم:**

- "الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ، فَهِمَه فَهْمًا وفَهَمًا وفَهامة: عَلِمَه ... وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته، وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه"[٣].

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي،(٣/ ٢٨٧)، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٢/ ٥٠٨)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٣) لسان العرب، (١٢/ ٤٥٩).

ثانيًا: [بلاغة الأسلوب المحوري في أحاديث تصحيح المفاهيم].

الإيجاز سمة بارزة في بيان النبوة، فقد أوتي النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . جوامع الكلم، قال عن نفسه محدثًا بنعمة ربه عليه: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ"(١) ففي صورة لفظية موجزة تري بيان النبوة يتدفق بصورٍ من المعاني، تنهل مدرارة من مزن نظوم البيان النبوي، فـ"كلامه . صلّى الله عليه وسلّم .... هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه"(٢).

وفي أفق تلك البنية التركيبية الموجزة، تستوقفنا خصيصة بلاغية في ذلك البيان النبوي، ألا وهي: "الأسلوب المحوري" فترى الحديث الشريف يقوم في بنائه على أسلوب بلاغي محوري، يمثل عمود الخيمة، ونقطة الدائرة، وواسطة العقد، ففي فلكه تدور الأساليب البلاغية الأخرى وحوله تتحلق.

إن خصوصية الأسلوب المحوري في بيان النبوة، بمثابة روح تسري في جسم البنية التركيبية للحديث، فتشتبك بذلك الجسم اشتباك الماء بالغصن الأخضر، إنها تتغلغل في مطاويه، وتنساب في نواحيه، فتلقي عليه بظلالها، وتخلع عليه من ردائها، وتنفخ فيه من ذاتها، فتتردد أنفاسها في جنباته، فتأتي على كل شيء فيه. وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ أثر ذلك الأسلوب المحوري في كل جزئية من جزئيات نظم الحديث، ومن ثَمَّ يُوحد بين البنية التركيبية للحديث، فتراها متشحة بوشاح ذلك الأسلوب المحوري من مُبتدَى الحديث حتى منتهاه.

ولعل من أهم مزايا بناء الحديث الشريف على ذلك النسق، ذلك التماسك الذي نلمحه في بنية الأحاديث الشريفة، والذي يجعل الحديث كله كالشيء الواحد، والكل المجتمع، والجملة الواحدة، وتلك مزية للنظم لا يخفى أثرها، يقول الإمام

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، (١/ ٣٧٢)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة،١٣٧٤هـ .

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، (١٣/٢)، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

عبدالقاهر: "واعلم أنَّ مما هو أصل فيما يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه هنا في حال يضع بيساره هناك، وفي حال من يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به؛ فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة"(١).

وبدراسة هذا الأسلوب المحوري وتحليله، وبيان أثره في أداء المعاني، تتجلى بلاغة البيان النبوي؛ إذ يصطفي كل حديث شريف من أساليب البيان أسلوبًا محوريًا يلائم المقام، فيعتبره البيان النبوي مع ما يؤدي به أصل المعنى المراد؛ وفاءً بحق المعنى.

ولعل سر بروز خصيصة الأسلوب المحوري في بيان النبوة، تميز البيان النبوي وتفرده عن سائر ألوان البيان. فالحديث النبوي الشريف، رباني المعاني، محدي الألفاظ والمباني؛ لذا كانت له خصوصية بلاغية لا ينازع فيها، وله سمات بيانية يتفرد بها، وهي خصوصيات لا تسفر عن ملامحها إلا لمن أطال النظر في ذلك البيان الآسر، وترى تلك الخصوصية التعبيرية قد نظمتها يد صناع، يتدفق بيانه الشريف بلا نَصَب ولا لُغُوب؛ فبلا تكلف ولا تصنع برزت تلك الخصوصية في البيان النبوي، فـ"كلامه . صلى الله عليه وسلم . ليس مما تكلف له، ولا داخلته الصنعة، ولا كان يَتلوم على حَوكِهِ وسَردِه، ولكنه عَفوُ البديهة، ومساقطة الحديث، مما يجريه في مناقلةِ الكلام ومَساق المحاضرة، وأنه مع ذلك لعلى ما وصفنا

(١) دلائل الإعجاز، الإمام/ عبدالقاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، (ص ١٣٢) مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

وفوق ما وصفنا"[١].

إن بناء الحديث الشريف على أسلوب بلاغي محوري، تدور في رحاه أساليب بلاغية أخرى، يعكس دقة ذلك البيان النبوي في بناء نظومه بناءً محكم السبك، يأخذ بعضه بعناق بعض، فالأسلوب المحوري الذي تدور في فلكه سائر الأساليب التي تتعانق معه، يشد أجزاء نظوم الحديث، ويجمع لبناته، حتى إذا ما سيق الحديث إلى النفس المتلقية، وقع منها موقعًا حسنًا، فاستقر في أنحائها، وتسرب إلى شغافها، فكان له عليها سلطان التأثير والإقناع.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (ص٢٢٢)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثامنة، ١٤٢٥هـ .

المطلب الأول: بلاغة القصر أسلوبًا محوريًا.

من الأساليب المحورية التي بُني عليها البيان النبوي في تصحيح المفاهيم أسلوب القصر، وذلك في المقامات والسياقات التي اقتضت ذلك.

ولما كانت طرق القصر متنوعة، ولكل منها خصوصية ليست في سواها من طرق القصر، استعمل البيان النبوي من طرق القصر ما يلائم المقام.

والقصر في اللغة من قصرت الشيء بالفتح أقصره قَصْرًا: حبسته...وقصر الشيء بالضم يَقْصُرُ قِصَرًا: خلافُ طالَ. وقَصَرْتُ من الصلاة بالفتح أَقْصُرُ قَصْرًا. وقصرت الشيء على كذا: إذا لم تجاوز به إلى غيره(١).

واصطلاحًا: "تخصيص شيء صفة أو موصوف بشيء موصوف أو صفة، بطريق مخصوص، ما وإلا وما شابه ذلك مثل: إنما والعطف والتقديم وتوسط ضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند إليه بلام الجنس والباء داخلة على المقصور عليه على الأرجح"(٢).

وللقصر طرق كثيرة، وقد اصطلح البلاغيون على طرق أربعةٍ للقصر، وهى: العطف ، وما وإلا ، وإنما ، والتقديم، وهناك طرق أخرى كتوسط ضمير الفصل وتعريف المسند إليه أو المسند بلام الجنس.(٣)

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة القصر أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عن أبي هريرة . رضي الله عنه .: أن رسول الله .

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، (٧٩٤/٢)، ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح/ د. محمد عبد المنعم خفاجي،(٣/ ٥)، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط الثالثة، بدون تاريخ.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، الشيخ/ محمد أحمد الدسوقي، مطبوع ضمن شروح التلخيص، (١٦٦/٢)، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة، بدون تاريخ.

صلى الله عليه وسلم . قال: لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نفسه عند الغضب"[١].

النبي . صلى الله عليه وسلم . في مقام تصحيح مفهوم الشديد. وقد أتى بيان النبي . صلى الله عليه وسلم . مبنيًا على أسلوب محوري، ألا وهو القصر، الذي طريقه: "إنما". وقد اختلف في القصر بإنما، فأثبته الجمهور، ونفاه كثير، والمثبتون قيل: بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم[٢].

فالقصر الذي طريقه : "إنما"، أسلوب محوري للبنية التركيبية للحديث الشريف، ولـ "إنما" من الخصائص ما ليس لغيرها من طرق القصر، يقول الإمام عبد القاهر: "اعْلم أنَّ موضوعَ "إنما" على أن تجيءَ لخَبرٍ لا يَجهلُهُ المخاطَبُ ولا يَدفعُ صِحَّتَه، أو لا يُنزِّلُ هذه المنزلة. تفسيرُ ذلك أَنكَ تقولُ للرجل: "إنما هو أخوك" و "إنما هُوَ صاحُبك القديمُ" لا تقولُه لِمَنْ يَجْهلُ ذلك ويدفَعُ صحَّتَه، ولكنْ لِمَن يَعْلَمُه ويُقِرُّ به، إلاَّ أنَّك تُريد أن تُنَبِّهَهُ للذي يجبُ عليه من حقِّ الأخِ وحُرْمةِ الصاحبِ".[٣]

وفي بناء الحديث الشريف على القصر بـ"إنما" ما يلائم الحال، فـ" المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلِّ مقام من المقال"[٤] فقد اعتبر بيان النبوة تلك الخَصوصية الزائدة على ما يؤدَى به أصل المراد؛ لملاءمة المقام.

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د/ مصطفى ديب البغا، (٥/ ٢٢٦٧)، دار طوق النجاة ، مصورة عن السلطانية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، تح/ د. عبد الحميد هنداوي، (١/ ٤٠١)، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣) دلائل الإعجاز،(ص٣٣٠).

(٤) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (ص١٣٥)، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤١٩هـ .

فالنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . أكد من خلال بناء الحديث على أداة القصر: "إنما"، أن المعنى الذي يسوقه من المعاني الواضحة المركوزة في الطباع السليمة، فليس الخبر الذي يسوقه النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . من الأخبار الغريبة التي يتمارى فيها المتلقي؛ حتى يؤكده بيان النبوة بطريق قصر يمتلك طاقات توكيدية كثيفة، وإنما المقام مقام تذكير بحقيقة مألوفة، تقرها الطباع السليمة، ولكنها المفاهيم الخاطئة التي غذتها القيم الموروثة، والاستجابة لنوزاع النفس الإنسانية وما لها من هوى مذموم.

هذا، ولا يخفى ما في "إنما" وما يتردد في ظلالها الهامسة من نبرة توكيدية هادئة رقيقة، من مناسبة للمقام وما فيه من دعوة لهدوء النفس وسكينتها، يقول . صلى الله عليه وسلم . :"...إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نفسه عند الغضب" وهذا لون من التناسب لا تجد له صدىً إلا في نماذج البيان العالي، يمكن أن يسمى: بـ"الخصائص البلاغية أشباه المعاني".

ولما كان المقام مقام تصحيح للمفاهيم، وفي ذلك ما يحتاج إلى دقة عالية في تحديد المعاني؛ حتى يؤدي الكلام غايته، ويؤتي الغراس ثماره، كانت البلاغة العالية في ابتناء الحديث على أسلوب القصر؛ لما في ذلك الأسلوب من تحديدٍ دقيق للمعنى، فالمقصور محدد الملامح والقسمات، لا يختلط على المتلقي، وكذلك المقصور عليه، ومن ثم، كان ابتناء الكلام على أسلوب القصر، وجعله أسلوبًا محوريًا هو الملائم للمقام.

هذا، ولما كان القصر وسيلة لتمكين المعنى في ذهن السامع، كان الملائم للمقام ابتناء الكلام على ذلك الأسلوب؛ تمكينًا للمعنى في ذهن المتلقين، فما أحوج سيد الداعين إلى الله . تعالى . إلى تمكين المعاني الشريفة في نفوس أمة الدعوة؛ حتى يبلغ البيان محله. ومن مزايا ابتناء الحديث الشريف على القصر

وجعله أسلوبًا محوريًا، أن القصر يتميز بتركيز العبارة وتقصيرها، فجملة القصر تنهض بأداء حكمين مختلفين إيجابًا وسلبًا، فكأن الجملة الواحدة تقوم بما تقوم به جملتان في تأدية المعنى، ولذا فهي طريق من طرق وجازة العبارة ، وأدائها للمعنى الكثير باللفظ القليل(١).

هذا، وقد أسهمت أساليب بلاغية أخرى مع ذلك الأسلوب المحوري؛ لتشكيل البنية التركيبية للحديث الشريف، فقد استهل النبي . صلى الله عليه وسلم . بيانه ببراعة المبتدَى؛ حيث نفى النبي . صلى الله عليه وسلم . المفهوم المركوز في أخلاد الناس للشديد، ذلك المفهوم الذي توارثه الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، وهو: أن الشديد بالصُرَعة. "والصُرَعة بضم المهملة وفتح الراء، وهو من أبنية المبالغة، وكل ما جاء بهذا الوزن بالضم والفتح: كهُمَزَة ولُمَزَة وحُفَظَة وضُحَكَة، والمراد بالصُرَعة: من يَصْرَع الناس كثيرًا بقوته، فنقل إلى الذي يملك نفسه عند الغضب، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه"(٢).

وقد بُني الحديث على إيجاز القصر، فبألفاظ قليلة ساق البيان النبوية لنا الكثير من المعاني، فبنية الحديث أتت في قالَب تركيبي موجز، على أنه يحتاج في نثر كنانة معانيه صفحات طوال، وهذا ملائم للمقام.

ومما تعانق مع أسلوب القصر، تلك الدلالات الموحية التي شكلت بنية النص النبوي الشريف:[الشديد . الصُرَعَة . يملك . نفسه] تلك المفردات ذوات الإيحاء الدلالي، والتي أثارت تلك المعاني الجانبية، التي تدفقت مدرارة متعانقة مع الأسلوب المحوري للنص، وهو القصر.

(١) ينظر: التصوير البياني في شعر المتنبي، د/ الوصيف هلال الوصيف، (ص٨١) مكتبة وهبة . القاهرة ، ط الأولى، ٢٠٠٦م .

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (٩/ ٧١)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية . القاهرة، ط السابعة، ١٣٢٣هـ.

ومما أثمر تماسكًا نصيًا في بنية الحديث الشريف، ذلك الفصل بين قوله: "ليس الشديد بالصرعة" وقوله: "إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" حيث فصل بين الجملتين؛ لشدة ما بينهما من تماسك ووصال، فقد أثارت الأولى سؤالًا أتت الثانية جوابًا له، وهو ما يسمى في اصطلاح البلاغيين: "شبه كمال اتصال" وفي ذلك التماسك النصي ما جعل النص الشريف يُلقى في النفس المتلقية مجتمع الخلق، كامل البناء، كأنه جملة واحدة، اشتد سبكه، وأُحكم نظمه.

هذا، ولا يخفى أثر الاستعارة في أداء المعنى النبوي الشريف، تلك الاستعارة المكنية في قوله: "يملك نفسه" حيث شبه بيان النبوة النفس الإنسانية فرسًا جامحًا على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إثبات لازم المشبه به للمشبه في قوله: "يملك" استعارة تخييلية، قرينة للمكنية. فالاستعارة بما لها من قدرة على نقل المعاني وتقريبها للمتلقين في صورة لفظية موجزة، نقلت المعنى النبوي الشريف حول النفس الإنسانية وحاجتها للقيادة والسيطرة الذاتية من صاحبها، حتى لا تشط، إن تُرِكت بلا ربقة، فالاستعارة تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرِجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعًا من الثَّمر(١).

إن الأسلوب المحوري الذي بني عليه الحديث الشريف، وهو أسلوب القصر، والذي أسهمت معه الخَصوصيات البلاغية التي سبق بيانها، قد ناسب المقام، ونقل المعنى المحمدي الشريف للمتلقين، في وجازة عبارة، وطلاوة صورة، وألفاظ مأنوسة، مما جعل اللفظ يسابق المعنى في الانتهاء إلى النفس المتلقية.

(١) ينظر: أسرار البلاغة، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، تح/محمود محمد شاكر، (ص٤٣)، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، بدون تاريخ.

والحقيقة: أن فتنة البلاغة النبوية تُبين عن نفسها بالتحليل الكاشف عن أسرارها؛ لذا يجب تأمل الجمال الفني في كلامه – صلى الله عليه وسلم –، فهو كلام ذو ثراء روحي، كلما زدته فكرًا زادك معنىً، وتفسيره قريب، قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حد وقف، وإن مددت مد، وما أديت به تأدى، وليس فيه شيء مما تراه لكل بلغاء الدنيا من صناعة عبث القول، وطريقة تأليف الكلام، واستخراج وضع من وضع، والقيام على الكلمة حتى تبيض كلمةً أخرى(١).

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة القصر أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ أبي هريرة أن رسول الله . صلى الله عليه و سلم . قال: "لا يقولنَّ أحدكم عبدي و أمتي؛ كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ. وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي"(٢).

جرت عادة الناس قبل الإسلام على قولهم: "عبدي، أمتي" فأتى النبي . صلى الله عليه وسلم . يصحح لهم ذلك المفهوم، فأكد . صلى الله عليه وسلم . أن جميع الناس عبيد الله أو إماؤه؛ لأن في لفظة: "عبدي" معنى العبودية، وهي لا تكون إلا لله . تعالى . جاء في مختار الصحاح: "أَصْلُ الْعُبُودِيَّةِ: الْخُضُوعُ وَالذُّلُّ"(٣)،

(١) ينظر: السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (ص٢٧) تح/ أبو عبد الرحمن البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا، ط١، بدون تاريخ.

(٢) صحيح مسلم، (٤/ ١٧٦٤).

(٣) مختار الصحاح، الرازي، تح / يوسف الشيخ محمد، (ص١٩٨)، المكتبة العصرية – الدار النموذجية . بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

وذلك لا يكون إلا لله . تعالى . كما أن في لفظة: "أَمَتي" . كذلك . معنى العبودية، جاء في كتاب العين: "الأَمَة: المرأة ذات العُبُوديَّة"(١).

والنهي في هذا الحديث للكراهة، "قال ابن بطال: جاز أن يقول الرجل: عبدي وأمتي؛ لقوله تعالى: ﴿ ...وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ ...﴾ (٢) وإنما نهى عنه على سبيل الغلظة لا على سبيل التحريم، وكره ذلك لاشتراك اللفظ"(٣).

وقد بنى بيان النبوة الحديث الذي بين أيدينا على أسلوب محوري، ألا وهو: القصر الذي طريقه: العطف بـ"لكن"، فعلى ذلك الأسلوب قامت البنية التركيبية للحديث.

وقد طابق ذلك الأسلوب المحوري . الذي اعتبره البيان النبوي .، ما يقتضيه الحال؛ فالقصر بـ"لكن" ملائم لتصحيح المفاهيم المركوزة في الأخلاد، والموروثة من الآباء والأجداد؛ إذ القصر بـ"لكن" فيه نهي وإثبات معًا، فالنهي في قوله . صلى الله عليه وسلم . :"لا يقولنَّ أحدكم عبدي وأَمَتي"، والإثبات في قوله . صلى الله عليه وسلم . :" ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي"

والواقع: أن "لكنْ" التي وردت في الحديث الشريف ليست عاطفة؛ فقد ذكر النحاة شروطًا ثلاثة لـ"لكنْ" العاطفة، أولها: أن يكون المعطوف به مفردًا لا جملة، مثل: ما قطفتُ الزهرَ لكنْ الثمرَ. فإن لم يكن مفردًا وجب اعتبار "لكن" حرف ابتداء واستدراك معًا، وليس عاطفًا، ثانيها: ألا يكون مسبوقًا بالواو مباشرة، نحو: ما صافحتُ المسيء لكن المحسنَ. فإن سبقته الواو مباشرة لم يكن حرف عطف، واقتصر على أن يكون حرف استدراك وابتداء للكلام، ووجب أن تقع بعده

(١) كتاب العين، (٨/ ٤٣١).

(٢) سورة: النور، جزء من الآية رقم: (٣٢).

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، (١١/ ٩٨)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط الثانية: ١٤٠١هـ .

جملة (فعلية أو اسمية) تُعْطَف بالواو على الجملة التي قبلها، ثالثها: أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي[١]. ومن خلال الشروط التي ذكرها النحاة، يتأكد أن "لكنْ" في الحديث الذي بين أيدينا للاستدراك.

والاستدراك في معنى "لكنْ" لا ينافي دلالتها على العطف، فقد ذكر ابن يعقوب المغربي، أن: "لكنْ" التي للاستدراك ترجع إلى معنى العطف[٢]، وعليه فإنها تفيد القصر.

وفي معنى الاستدراك في "لكن" ما يلائم المعنى النبوي الشريف الذي ساقه النبي . صلى الله عليه وسلم . هنا، فتصحيح المفهوم يلائمه النهي عن الفعل المكروه، ثم الاستدراك بالمحمود المستحب الذي يُدعى إليه المخاطب، وفي ذلك ما يلائم مقام تصحيح المفاهيم، وتقويم اعوجاجها.

إن الأسلوب المحوري الذي بني عليه الحديث الشريف، جعل البنية التركيبية للحديث محكمة السبك، متماسكة البناء، فقد أتت كالكل المجتمع، والشيء الواحد، فأولها معقود الوثاق بآخرها، مما يجعلها تنساب في نفس المتلقي ووجدانه دفقة واحدة. ولقد تناول الإمام/عبد القاهر فضيلة تماسك بنية الكلام، فقال: "ممّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، في توخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِهِ هناك، نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على

(١) ينظر: النحو الوافي، د/ عباس حسن، (٦١٧/٣ وما بعدها)، دار المعارف . القاهرة، ط الخامسة عشرة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ/ ابن يعقوب المغربي، (١٨٦/٢)، مطبوع ضمن شروح التلخيص، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة، بدون تاريخ.

هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ"(١).

ولا شك أن من تلك الوجوه التي تدخل فيما تناوله الإمام أسلوب القصر، وفي الصدارة من طرقه: "لكن"؛ لما في البناء الذي ينتظمها من نفي أو نهي وإثبات، ثم يلقى كل ذلك في النفس مرة واحدة.

إن مجيء القصر بـ"لكن" أسلوبًا محوريًا في بناء الحديث الذي بين أيدينا، أثمر بنية تركيبية موجزة إيجاز قِصر، فبكلمات معدودات تحدَّر بيان النبوة بشآبيب من المعاني التي سالت مدرارة بفيض البيان المحمدي. حيث نهى النبي . صلى الله عليه وسلم . عن فعل مذموم، وذلك قوله: "لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي"، وعلل سبب النهي، وذلك قوله: "كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ"، ثم بين السلوك المستحب، وذلك قوله: "ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي" كل ذلك في بيان موجز، مما جعل المخاطب في حالة استحضار دائم لذلك الهدي النبوي، الذي لم يطل حتى يُنسي بعضه بعضا، وإنما تماسكت أجزاؤه، وضاقت عبارته، وكثرت معانيه، وألقي في النفس المتلقية جملة واحدة، وما ذلك إلا من أثر بناء الحديث على القصر بـ"لكن" أسلوبًا محوريًا، يسري في البنية التركيبية للحديث سريان الروح في الجسد، والماء في الجدول.

وهكذا، يتأكد لدينا: أن القصر أسلوب محوري، ابتنى عليه البيان النبوي الأحاديث الشريفة التي اقتضت مقاماتها اعتبار تلك الخصوصية؛ وفاء بحق المعنى.

(١) دلائل الإعجاز، (ص٩٣).

المطلب الثاني: بلاغة الحوار أسلوبًا محوريًا.

أسلوب الحوار من تلك الأساليب المحورية التي على منوالاتها نظم البيان النبوي معانيه، في مقام تصحيح المفاهيم. وقد اتخذ الحوار سبيله في البيان النبوي تصحيحًا للمفاهيم؛ فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقنع المخاطبين من أهل البلاغ عن طريق الحوار؛ حتى يأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد.

أما عن حقيقة الحوار لغة: فيقول الزبيدي: "المُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةَ ومُرَاجَعَةُ النُّطْق والكَلَام فِي المُخَاطَبَة، وَقد حَاورَه، وَتَحَاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الكَلَامَ بَيْنَهُم، وهم يَتَرَاوَحُونَ ويَتَحَاوَرُونَ. والمِحْوَر، كمِنْبَر: الحَدِيدَةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الخُطَّافِ والبَكَرَةِ. وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ: هُوَ العُودُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْه البَكَرَة، وَرُبمَا كَانَ مِنْ حَدِيد"(١).

ويقول الراغب: «الحَوْرُ: التّردّد إمّا بالذّات، وإمّا بالفكر، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق: ١٤]، أي: لن يبعث...، وحَارَ الماء في الغدير: تردَّد فيه، وحَارَ في أمره: تحيّر"(٢).

وقد تناول العلوي مصطلح: "المحاورة" عند حديثه عن مصطلح: "الترجيع"، يقول: "والترجيع: تفعيل من قولك رجّعت الشيء: إذا رددته، ويسمى: الترجيع رجيعًا، وهو ما يخرج من بطن ابن آدم؛ لأنه يتردد فيه، ويقال للسماء: ذات الرجع؛ لأن المطر يتردد في نزولها منها. وهو في مصطلح علماء البيان: عبارة عن أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ، فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع"(٣).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (١١/ ١٠٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي، (ص٢٦٢)، ط دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، (٣/ ٨٤)، المكتبة العصرية – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ.

وهكذا تدور دلالة الحوار لغةً واصطلاحًا حول: "الرجوع"، وفي تلك الدلالة ما يعكس غاية الحوار، فالمحاوِر ينشد رجوع الطرف الآخر عن معتقده أو فكره أو موقفه أو سلوكه.

فالحوار رجوع لغاية، وهي: الرجوع عن الباطل، أو الرجوع إلى الحق، أو الرجوع إلى الأخف ضررًا إن كان الضرر حاصلًا لا محالة، أو إلى الأعظم منفعة. فلا يخلو حوار من غاية لأجلها يكون ذلك الحوار(١).

والحوار أسلوب في أداء المعاني، له مقامات وسياقات تقتضيه، وقد برز الحوار في بيان النبوة، فالنبوة توجيه وإرشاد يقومان على الإقناع، وفي الحوار طريق لذلك الإقناع، فيه طرح لقضية، وسوق لأدلة على بساط من الأخذ والرد.

وقد أتى الحوار أسلوبًا محوريًا، وذلك في مقامات وسياقات اقتضت أن يعتبر بيان النبوة مع ما يؤدي به أصل المراد خصوصية سوق المعنى بطريق الحوار، وجعله أسلوبًا محوريًا، على عمود رحاه يدور المعنى المراد، وحول نقطة دائرته تتحلق الأساليب البلاغة الأخرى؛ وفاء بحق المعنى النبوي الشريف.

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الحوار أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، فقال لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا. فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حريٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنكح، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّع، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى الله عليه وسلم . ثم مر رجل، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حريٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنكح، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّع، وَإِنْ قَالَ

(١) ينظر: الحوار النبوي . دراسة بينية، د/ وضحى مسفر القحطاني، (ص٩٠٠)، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد السابع والثلاثون، عام ٢٠١٧م.

أَنْ لَا يُسمع لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .: هَذَا خَيْرٌ مِنْ ملء الأرض مثل هذا"(١).

لقد بنى البيان النبوي الشريف ذلك الحديث على أسلوب الحوار، وجعله أسلوبًا بلاغيًا محوريًا، ترجع إليه سائر الأساليب البلاغية الأخرى التي تناثرت في مطاوي الحديث.

وقد أتى الحوار النبوي مستكمل الأركان، فله طرفان: أولهما: النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . ، وثانيهما: رجل عنده جالس، والقضية التي يطرحها بيان النبوة: معايير تقييم الناس. والهدف من الحوار: تصحيح المفاهيم الخاصة بتقييم الناس.

وقد برزت في مساق الحوار سَعة صدر النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . الذي منح الطرف الآخر فرصة البوح بما في نفسه حتى الثُّمالة، فكلماته . صلى الله عليه وسلم . أتت موجزة غاية الإيجاز، فلم يزد . صلى الله عليه وسلم . على أن سأل، بأربع كلمات: "مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟" ثم استمع إلى الرد من المحاوَر، ولم يعقب، ثم سأل بأربع كلمات: "مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟" ثم استمع إلى الرد من المحاوَر، ثم عقب على الردين قائلًا:" هَذَا خَيْرٌ مِنْ ملء الأرض مثل هذا".

إن نبع البلاغة في الحديث يتدفق من شآبيب الأسلوب الحواري الذي يمثل محورًا تدور حول رحاه سائر الأساليب، وما كان لأسلوب سوى الحوار أن يصلح محورًا يقوم عليه نظم الحديث؛ فالمقام مقام تصحيح لمفهوم مركوز في الخَلَد، مستقر في الوجدان، أطبق عليه المجتمع، وتوارثته الأجيال المتعاقبة؛ لذا كانت الحاجة ماسة للإقناع العقلي الذي سبيله الحوار؛ لما يتيحه من أخذ ورد، وبوح بما

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، (٥/ ٢٣٦٩).

في النفس، فيسمع المحاوِر رأي المحاوَر، ثم يعقب بعد ذلك، ومن ثَم يتم الاقتناع.

هذا، ومن الأساليب البلاغية التي تعانقت مع الأسلوب المحوري، أسلوب الاستفهام الاستدراجي، في قوله . صلى الله عليه وسلم . : "مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟" حيث فتح النبي . صلى الله عليه وسلم . للمحاوَر سبيلًا؛ ليبوح برأيه، فالنبي . صلى الله عليه وسلم . يود أن يسمع مفهوم الآخر حول القضية محل الحوار، وهي : (معيار تقييم الناس) وفي ذلك ما يعكس الخلق العظيم الذي عليه النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . حيث سأل المحاوَر، واستصحبه، وسمع منه، وبما أن النبي . صلى الله عليه وسلم . يصحح المفاهيم، فقد أخر رأيه في القضية؛ ليكون تقويمًا للمفاهيم المعوجة التي توارثها الناس، وباتت عقيدة اجتماعية لهم. كما تعانق مع الأسلوب المحوري، أسلوب الإسناد الخبري في قوله . صلى الله عليه وسلم . : "هَذَا خَيْرٌ مِنْ ملء الأرض مثل هذا" إنها الحقيقة التي ساقها النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . بلا مؤكدات، فهي من المسلمات التي لا تحتاج لمؤكدات، كما أن بناء هذه الجملة النبوية: "هَذَا خَيْرٌ مِنْ ملء الأرض مثل هذا" على إيجاز القصر، جعلها تسير مسير الحكمة السائرة، فلا يكاد العقل ينساه، وقد ارتسمت فيه، فلا تكاد تفارقه، فهي كالينبوع الثجاج الذي لا يكف عن العطاء؛ لما لها من ثراء دلالي.

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الحوار أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالُوا لِلنَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا

شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وضعها في الحلال كان له أجرا"(١).

لقد أتى الحوار النبوي مستكمل الأركان، فله طرفان: أولهما: أولئك الذين أتوا يسألون، وثانيهما: النبي . صلى الله عليه وسلم . ، والقضية التي يطرحها بيان النبوة، وهي: (بيان ما يقوم مقام الصدقة لمن عجزوا عنها)، والهدف من الحوار: تصحيح المفاهيم الخاصة بما يقوم مقام الصدقة لمن عجزوا عنها.

لقد حفل الحديث النبوي الشريف بأساليب بلاغية متنوعة، وكلها انتظمت في الصورة البلاغية لنظم الحديث، وقد أتى الحوار أسلوبًا محوريًا لتلك الأساليب، فحوله تدور الأساليب البلاغية الأخرى، وفي فلكه تنتظم.

هذا، وقد اقتضى المقام أن يعتبر بيان النبوة مع ما يؤدي به أصل المراد خصوصية اعتبار الحوار أسلوبًا محوريًا يقوم عليه الحديث الشريف؛ وذلك لما للحوار من مزية الإقناع العقلي، الذي يلائم تصحيح المفاهيم، فقد ظن الوفد الذي أتى النبي . صلى الله عليه وسلم . أن الصدقة لا تكون إلا بالمال، فإذا بالنبي . صلى الله عليه وسلم . يصحح المفاهيم المركوزة في الأخلاد، فيقول: "...أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وضعها في الحلال كان له أجرا"(٢).

الصحابة السائلون يستشعرون الأنس والمودة في جانب النبي، ومن ثم

(١) صحيح مسلم، (٢/ ٦٩٧).

(٢) السابق، والجزء نفسه، والصفحة نفسها.

راجعوه، "ووجه مراجعتهم له . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لا إنكارًا منهم للوحي، ولكنه يحتمل أن يكون أرادوا أن يبين لهم موضع الحجة، فبين لهم"(١).

وفي مزاوجة النبي . صلى الله عليه وسلم . في حواره مع الصحابة السائلين بين أسلوبي الإنشاء والخبر، ما يعكس تلطفه . صلى الله عليه وسلم . مع أصحابه، فلم يَرُد عليهم بأسلوب خبري فحسب، حتى لا يبدو في موقف من يُملي عليهم كلامه؛ فهم في موقف حيرة وانكسار وشعور بالعجز، وإنما يتبسط معهم، ويُشركهم معه في الكلام تلطفًا، فيقول: "أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟"، ويقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟" فهذان الاستفهامان تتردد أصداؤهما في مطاوي أنفس المخاطَبين، فيفكر المخاطبون في الجواب، وتذهب أنفسهم في ذلك مذاهب شتى، ثم يأتي جواب سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . عليهم كالرّي بعد الظمأ، يقول: "أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ".

ومن رحم جواب النبي . صلى الله عليه وسلم . على الاستفهام الأول يتولد استفهام المخاطَبين حيث قالوا: " يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟" فيرد . صلى الله عليه وسلم . باستفهام آخر، حيث يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وضعها في الحلال كان له أجر". وهكذا مضى المعنى النبوي الشريف على منوال الحوار أسلوبًا محوريًا، تسري روحه في جسم الحديث من مبتداه حتى منتهاه، فالحوار يشدُّ وَثاق بنية الحديث، ويأخذ بمجامعها، حتى يبدو بنيان الحديث كالجملة الواحدة، التي اكتمل خلقها، وأُحكم

(١) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تح/ د. يحيى إسماعيل، (٣/ ٥٢٧)، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط الأولى، ١٤١٩ هـ.

سبكها.

ولا يخفى ما في الحوار من استصحاب المخاطب، وجعله طرفًا أصيلًا في الكلام، فضلًا عن إيقاظه، وجذب انتباهه، وإلقاء رداء من المودة والشفقة على العلاقة التي تربط بين طرفي الحوار.

وما كان لهذا الحديث أن يبلغ محله من البلاغة وما فيها من تأثير وإقناع، لولا بناؤه على الحوار أسلوبًا محوريًا، فالحوار في الحديث هو نقطة الدائرة، وواسطة العقد، ومن حوله تتحلق الأساليب البلاغية الأخرى؛ وفاء بحق المعنى المراد.

المطلب الثالث: بلاغة الاستفهام أسلوبًا محوريًا.

من تلك الأساليب البلاغية المحورية التي اكتست المعاني النبوية الشريفة تصحيحًا للمفاهيم، أسلوب الاستفهام، فقد اقتضت مقامات بعينها ذلك الأسلوب؛ لما له من خَصوصيات أسلوبية لا تتوافر لسواه.

أما عن دلالة الاستفهام لغة: فيقول ابن منظور: "الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ، فَهِمَه فَهْمًا وفَهَمًا وفَهامة: عَلِمَه... وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته...واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا"(١). فالاستفهام يدور معناه في اللغة على طلب الفهم.

الاستفهام في الاصطلاح: "طلب حصول صورة الشيء في الذهن"(٢).

والاستفهام قد يكون حقيقةً، وقد يكون مجازًا، ومجازية الاستفهام أمر تنبه له العلماء قديمًا، جاء في الكتاب: إن قيل: أتميمًا مرّةً وقيسيًّا أُخْرَى، كأنه يقول: أتحول تميميًا مرة وقيسيًا أخرى، وهو عندك في تلك الحال في تلوم وتنقُّلٍ، وليس يَسأله مسترشِدًا عن أمرٍ هو جاهلٌ به؛ ليفهَّمَه إيّاه ويُخبِرَه عنه، ولكنه وبَّخه بذلك.

وحدّثنا بعضُ العرب، أنّ رجلًا من بنى أَسَدٍ قال يومَ جَبَلَةَ واستَقبله بَعِيرٌ أَعْوَرُ فتَطَيَّرَ منه فقال: يا بنى أسد، أَعْوَرَ وذا نابٍ؟! فلْم يرد أن يَسترشدهم ليُخبِروه عن عَوَرِه وصحّته، ولكنه نَبَّهَهم، كأَنه قال: أَتَستقبلون أَعْوَرَ وذا ناب؟! فالاستقبالُ في حال تنبيهه إيّاهم كان واقعًا، كما كان التلوُّنُ والتنقُّلُ عندك ثابتينِ في الحال الأول، وأراد أن يثبت لهم الأعور ليحذوره(٣).

وقد يقتضي الحال بناء الكلام على الاستفهام أسلوبًا محوريًا، ثم تأتي الأساليب

---

(١) لسان العرب، (١٢/ ٤٥٩).

(٢) مختصر السعد على تلخيص المفتاح، مطبوع ضمن شروح التلخيص، (٢/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه، تح/ الشيخ: عبد السلام محمد هارون، (١/ ٣٤٣) الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ.

البلاغية الأخرى تدور في رحى الاستفهام وتتعانق معه.

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الاستفهام أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السّاعِدِيّ...أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . . صلى الله عليه وسلم . . اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَالَ لَهُ: أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا؟، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ: هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يغلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ"(١).

لقد بنى البيان النبوي الحديث الشريف الذي بين أيدينا على الاستفهام أسلوبًا محوريًا. والذي أراه: أن الاستفهام وحده هو الملائم للحال؛ لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . يستعلم عما في ضمير العامل الذي استعمله على أحد الأمصار، والاستفهام معناه: "استعلام ما في ضمير المخاطب"(٢). كما أن الاستفهام سيظل يتردد صداه في العالم الداخلي لذلك العامل، ولكل عامل في كل زمان ومكان، يذكره بحرمة ما هو فيه من معصية، فالاستفهام يحفز النفس اللوامة ويوقظها من سباتها العميق؛ لتبدأ رحلتها في اللوم والعتاب.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، (٦/ ٢٤٤٦).

(٢) كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تح/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء،(ص١٨)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ .

لقد توالت الاستفهامات في الحديث الشريف وتلاحقت وكأنها ترن على أوتار النفس الإنسانية المتلقية تأثيرًا وإقناعًا، يقول . صلى الله عليه وسلم . :"أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا؟" ويقول: "فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي؟" ويقول: " أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ؟" ويقول: "هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟".

وفي تكرار تلك الاستفهامات ما يعكس مزيتها في أداء المعنى النبوي الشريف، وقد أتت تلك الاستفهامات ملونة على مستوى الأداة والمضمون، مما جعل للتكرار أثرًا لا يُنكر إمتاعًا وإقناعًا، فـ"التكرار سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحًا مثمرًا، إذا طرق النفوس من أبواب ملونة، وقد يكون مبعث السأم والضيق إذا فقد التلوين في العرض والإبداع في التصوير، حتى لا يؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه"(١).

هذا، ولا يخفى أن تلك الاستفهامات التي بني عليها الحديث الشريف، قد خرجت عن معناه الأصلي وهو طلب الفهم إلى أغراض أخرى مجازية كثيفة الظلال، وقد شكلت تلك المعاني المجازية صورة المعنى النبوي الشريف.

والحقيقة: أنها معانٍ كثيفة الظلال الدلالية، عميقة المعاني، فكلما أعدنا تراتيل ذلكم البيان النبوي على المسامع والأفئدة، وقفنا على معانٍ جديدة، وهذا مما يعكس بلاغة بناء الحديث الشريف على أسلوب الاستفهام أسلوبًا محوريًا.

والحقيقة: "أن ما تُشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديدًا تامًا...وهذا ليس بعيدًا عن طبيعة اللغة" (٢)فأداة الاستفهام تشع من ظلالها دلالات

(١) البلاغة النبوية، د/ محمد رجب البيومي، (ص١٩٠)، الدار المصرية اللبنانية . القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م .

(٢) دلالات التراكيب . دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، (ص٢١٨)، مكتبة وهبه . القاهرة، ط الثانية، ١٩٨٧م.

جمة تنساب في نفس المتلقي؛ لتنقل له مراد المتكلم.

وفي بناء الحديث الشريف على الاستفهام أسلوبًا محوريًا ما جعل بنية الحديث متماسكة السبك، متداخلة البناء، يأخذ بعضها بعناق بعض، فالاستفهام روح تشتبك بالبناء التركيبي للحديث اشتباك الماء بالغصن الأخضر، مما جعل الحديث الشريف كالجملة الواحدة، وتلك مزية لا تتحقق إلا في الكلام العالي، يقول الإمام عبدالقاهر: "واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، في توخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هناك، نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ"(١).

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الاستفهام أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، إذا صلى، قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله: أتصنع هذا، وقد غُفر لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فقال: يا عائشة: أفلا أكون عبدا شكورا؟!"(٢).

النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤكد في هذا البيان النبوي الشريف على أن نعم الله ـ تعالى ـ يجب أن تواجه بالعبودية الكاملة والشكر الدائم، فالسيدة عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ ترى ديمومة العبادة ملازمة للنبي الكريم ـ

(١) دلائل الإعجاز، (ص٩٣).

(٢) صحيح مسلم، (٤/ ٢١٧٢).

صلى الله عليه وسلم . فتقول له: "أتصنع هذا، وقد غفر لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!" وهنا يأتي بيانه . صلى الله عليه وسلم . ؛ ليؤكد أن النعم لابد أن تُشكر بالأفعال لا بالأقوال فحسب، يقول: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!".

إن المتأمل في ذلك البيان النبوي الشريف يدرك أنه بني على الاستفهام أسلوبًا محوريًا، يقول . صلى الله عليه وسلم . : "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!". إن أسلوب الاستفهام لهذا الحديث كالروح للجسد، فكما أن الروح تشتبك بسائر الجسد، لا تفارق شيئًا من أجزائه، فكذلك الاستفهام في ذلك البيان النبوي، يسرى في بنية ذلك الحديث ويتغلل في مطاويه، ويمثل محورًا لصورته البلاغية.

وفي بناء ذلك البيان النبوي على الاستفهام أسلوبًا محوريًا، ما يلائم المقام؛ فالمقام مقام إشفاق على النبي . صلى الله عليه وسلم . حيث كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، ومن ثم كانت دعوته . صلى الله عليه وسلم . ؛ لترك ذلك الإكثار من قيام الليل؛ اعتمادًا على أن الله . تعالى . غفر له . صلى الله عليه وسلم . ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا المقام هو الداعي للنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . أن يعتبر مع ما يؤدي به أصل المراد خصوصية ابتناء الحديث على الاستفهام أسلوبًا محوريًا؛ فالاستفهام الذي بنى عليه الحديث استفهام مجازي، خرج عن حقيقته التي هي طلب الفهم، إلى معانٍ مجازية استدعاها المقام، ألا وهي: إنكار الدعوة إلى ترك الجد في قيام الليل، والتقرير بالجواب، فالهمزة إذا دخلت على النفي، فلمحض التقرير، أي: حمل المخاطب على الإقرار، وفي حمل المخاطب على الإقرار استنطاقٌ له بالجواب، والجواب إذا أَقر به المخاطب وقع في النفس موقعًا لا يصل إليه الشك، ولا يخالطه الريب، وفي ذلك من الخلابة والتأثير ما لا يخفى.

وفي الأسلوب المحوري (الاستفهام المجازي) الذي بني عليه الحديث الشريف: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!" ما أثار نفوس المتلقين؛ حيث تولدت عنه بطريق

الإيحاء جملة من الأسئلة، التي تدفقت بين يدي ذلك السؤال، فأكدت لكل من يصل إليه ذلك الهدي الشريف، أن عطاء السماء يُشكر بالفعل مع القول.

ولا يخفى ما في السؤال النبوي من إيجاز بالحذف والقصر معًا، أما الإيجاز بالحذف، فقد بينه القسطلاني إذ يقول: "(أفلا) الفاء مسبب عن محذوف، أي: أأترك قيامي وتهجدي لما غفر لي فلا (أكون عبدًا شكورًا؟!) يعني: غفران الله لي سبب لأن أقوم وأتهجد شكرًا له، فكيف أتركه؟! كأنَّ المعنى: ألا أشكره، وقد أنعم عليَّ وخصني بخير الدارين"[1]. ففي السؤال إيجاز بحذف جملة: "أأترك قيامي وتهجدي لما غفر لي؟!"، أما الإيجاز بالقصر: فيتجلى في أن معنى الجملة كثير يزيد على لفظه.

إن البيان النبوي اختصر الكلام اختصارًا، فبكلمات معدودات، عِدَّتها ذلك الأسلوب الإنشائي، الذي طريقه الاستفهام، استطاع البيان النبوي أن ينقل لنا المعنى النبوي الشريف.

والمتأمل في بنية تركيب الاستفهام، تستوقفه الهمزة التي اتخذها البيان النبوي أداة للاستفهام "فالهمزة: لطلب التصديق، كقولك: أقام زيد؟، وأزيد قائم؟ أو التصور كقولك: أدِبْسٌ في الإناء أم عسل؟، وفي الخابِيَة دِبْسٌ أم في الزِّقِّ؟. ولهذا لم يقبح: أزيد قام؟، وأعمرًا عرفت؟. والمسئول عنه بها هو ما يليها"[2].

وفضلًا عن خَصوصيتها البلاغية واستعمالها لطلب التصديق وطلب التصور، فإنني أرى: أنها تلائم بناء الحديث على الإيجاز، واستعمالها يمثل ضربًا من التناسب.

هذا، وفي فاء السببية، في قوله . صلى الله عليه وسلم . : "أفلا" ما دل على

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٢/ ٣١٤).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، (٣/ ٥٦).

الجملة المطوية، وهي قوله . صلى الله عليه وسلم . : "أأترك قيامي وتهجدي لما غفر لي؟!"

يقول المرادي: "الفاء الجوابية...معناها الربط، وتلازمها السببية. قال بعضهم: والترتيب . أيضًا ."(١).

وفي التعبير بالمضارع "أكون" ما جعل المتلقي يستحضر صورة النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . وهو عبد شكور لربه، وفي ذلك الاستحضار ما يدفع للاقتداء بالنبي الكريم، اتباعًا لمنهجه، وسيرًا على سننه. فالمضارع يجعل المتلقي يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وقوع الفعل منه، وهذا ما لا يتأتى في الفعل الماضي؛ لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلًا قد مضى من غير استحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه، وهذا لا خلاف فيه(٢).

وفي التعبير بقوله: "عبدًا" تتجلى بلاغة اختيار تلك المفردة؛ لما لها من ظلال دلالية، تثير في النفس دلالات التذلل والخضوع والانكسار لله . تعالى . ؛ يقول الزبيدي: "أَصْلُ العُبُودِيّةِ: الذُّلُّ والخُضُوعُ. وَقَالَ آخَرُونَ: العُبُودَةُ: الرِّضا بِمَا يَفْعَلُ الرَّبُّ، والعِبَادَةُ: فِعْلُ مَا يَرْضَى بِهِ الرَّبُّ"(٣). فعبودية النبي . صلى الله عليه وسلم . لربه . تعالى . مقام سامٍ، والنبي . صلى الله عليه وسلم . يشكر ربه بديمومة لزوم ذلك المقام.

هذا، وفي نعت لفظ: "عبدًا" بلفظ: "شكورًا" قيد للدلالة، فهو . صلى الله عليه

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، (ص٦٦)، تح/ د: فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح/ د: أحمد الحوفي، د: بدوي طبانة، (١٤٧/٢)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (٨/ ٣٣٠).

وسلم . عبدٌ كثير الشكر، فالتعبير بـ"عبد" يفيد: التذلل والخضوع والانكسار لله . تعالى . ولا يفيد كثرة الشكر، لذا كان في القيد بالنعت "شكورًا" ما يلائم المقام، فالنبي . صلى الله عليه وسلم . يشكر ربه كثيرًا بصورة فعلية من خلال المبالغة في قيام الليل.

ولاشك أن اصطفاء البيان النبوي للفظ: "شكور" نقل المعنى النبوي بدقة؛ لأن في بنية: "شكور" ما ليس في غيرها، يقول ابن الأثير: "اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولًا؛ لأن الألفاظ أدلَّةٌ على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة"(١).

وهكذا أتى جواب النبي . صلى الله عليه وسلم . على سؤال السيدة عائشة . رضي الله عنها . يتخذ من الاستفهام أسلوبًا محوريًا يسوق من خلاله المعنى، وقد أتى ذلك الأسلوب المحوري في نظم موجز، وبنية متماسكة، آخذًا بعضها بعناق بعض، وقد تعانق مع ذلك الأسلوب المحوري من الأساليب البلاغية الأخرى ما أسهم في نقل المعنى النبوي الشريف، وفي ذلك من البلاغة ما يؤثر في المتلقين إمتاعًا وإقناعًا.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٢/ ١٩٧).

المطلب الرابع: بلاغة الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا.

الإسناد الخبري أسلوب بلاغي له سماته التي تميزه عن غيره من الأساليب البلاغية، فله مزية الحكم؛ إذ يُثبت حكمًا لمحكوم عليه، ويُفيد المخاطبَ الفائدة أو لازمها، وقد تقتضي مقامات بعينها اعتبار ذلك الأسلوب البلاغي؛ ليكون محورًا يبنى عليه المعنى النبوي الشريف.

والإسناد الخبري، هو: "ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى الأخرى، بحيث يُفيد بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه"(١). وللإسناد الخبري غرضان رئيسان: هما: الفائدة، ولازم الفائدة. وله أغراض أخرى كثيرة تقتضيها مقامات الكلام.

والحقيقة: أن الإسناد الخبري "أعظم شأنًا، وأعم فائدة؛ لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وفيه يقع الصياغات العجيبة، وبه يقع . غالبًا . المزايا التي بها التفاضل، ولكونه أصلًا في الكلام"(٢).

وقد برز الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا في بيان النبوة في مقام تصحيح المفاهيم، ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الأسلوب الخبري أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي عن "الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يَقُولُ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتِ(٣) لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ

(١) كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، (ص٤٣)، المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة، ١٣٣٠هـ .

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) "كَسَفَ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ وَالْوَجْهُ تَغَيَّرْنَ وَكَسَفَهَا اللَّهُ كَسْفًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ أَيْضًا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى وَالْمَصْدَرُ فَارِقٌ وَنُقِلَ انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ مُطَاوِعًا مِثْلُ كَسَرْتُهُ فَانْكَسَرَ، وَعَلَيْهِ حَدِيثٌ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ "انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ."، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (٢/ ٥٣٣)، المكتبة العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ.

رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فادعو الله وصلوا حتى ينجلي".(١)

النبي . صلى الله عليه وسلم . يصحح المفاهيم المغلوطة، ويواجه الخرافات في مهدها، وهاهم الناس يرون الشمس قد انكسفت يوم مات سيدنا إبراهيم ولد سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . ، فيظنون أن الشمس قد انكسفت لموت ولد سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم .، فما كان من النبي . صلى الله عليه وسلم . إلا أن أخذ يصحح مفاهيم الناس، فبين لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته.

هذا، وقد بُنى الحديث الشريف الذي بين أيدينا على الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا، يقوم عليه بنيان المعنى النبوي الشريف؛ لتصحيح ذلك المفهوم الخاطئ، فالنبي . صلى الله عليه وسلم . قصد من وراء الحديث الشريف إفادة المخاطبين نفس الحكم، بسوق فائدة الخبر عن طريق الإسناد الخبري.

ولما كان المقام مقام تصحيح مفهوم خاطئ ومواجهة للخرافات، كانت البلاغة في توكيد ذلك الخبر بمؤكد له من القوة ما يلائم المقام، حيث أكد بيان النبوة الخبر بـ"إنَّ" التي هي أم المؤكدات؛ لما لها من طاقة توكيدية تناسب المقام الذي كادت الخرافة أن تتصدر فيه المشهد، وتعم الأرجاء، يقول . صلى الله عليه وسلم . :"إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ..." فـ"إنَّ" تستعمل في المقامات التي تحتاج إلى طاقة توكيدية عالية، كما في تصحيح المفاهيم، ومواجهة الخرافات؛ لما في شيوعها من أثر بغيض على الفرد والمجتمع.

إن المقام الروحي للنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . في نفوس أصحابه حدا

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، (١/ ٣٦٠).

بهم نحو تعليل سبب كسوف الشمس، بموت ولد سيدنا محمد، فتلك هي العلة التي لاحت لهم في الأفق، ولكن النبوة نور يضيء للسالكين، يقول تعالى: ﴿...قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة، جزء من الآية: ١٥] فما كان للنبي . صلى الله عليه وسلم . أن يترك أصحابه بعيدًا عن دائرة ذلك النور؛ لذا صحح لهم المفاهيم، فبنى كلامه على أسلوب محوري ينهض بالفكرة، ويكتسي المعنى النبوي الشريف، فنثر بيان النبوة كنانة الأساليب فرأى أنسبها لاكتساء معناه، أسلوب الإسناد الخبري، الذي لم يأتِ خلوًا من التأكيد؛ نظرًا لأهمية الخبر، ولم يسرف في التأكيد؛ فالصحابة سامعون مطيعون، غير منكرين لخبر سيدنا محمد.

وفي قوله . صلى الله عليه وسلم . : "لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ" ما يعكس حرصه . صلى الله عليه وسلم . على غلق أبواب الخرافة وسد ذرائعها، فقوله: «(ولا لحياته) ذكره تتميمًا للتعميم، وإلا فلم يقل أحد إن الانكساف يكون لحياة أحد، أو لتوهم أنه إذا لم يكن لموت أحد فيكون لحياته"[(١)].

إن المعنى النبوي الشريف كان يمكن أن يكتسي صورًا أشتاتًا من نظوم الكلام، ولكن بيان النبوة اعتبر خَصوصية اكتساء المعنى لذلك الإسناد الخبري دون غيره؛ لما في خَصوصية الإسناد الخبري ما ليس لغيرها من وجوه الكلام، وهنا تتجلى بلاغة النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . ، يقول الإمام عبدالقاهر: "واعلمْ أنه إذا كان بيِّنًا في الشيء أنه لا يَحتمِلُ إلاّ الوجْهَ الذي هو عليه حتى لا يُشْكِلَ، وحتى لا يُحْتاج في العلم بأنَّ ذلك حقُّه وأنه الصوابُ، إلى فكْرٍ ورويةٍ فلا مَزِيَّةَ، وإنما تكونُ المزيةُ ويجِبُ الفضلُ إذا احتمَلَ في ظاهِرِ الحالِ غيرَ الوجه الذي جاءَ عليه وجهًا آخرَ، ثمَّ رأيتَ النفسَ تَنْبو عن ذلكَ الوجهِ الآخرِ، ورأيتَ للذي جاء عليه

(١) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الأنصاري، تح/ سليمان بن دريع العازمي، (٣/ ١٢١)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٦ هـ .

حُسْنًا وقبولًا تعدمهما إذا أنتَ تركْتَه إلى الثاني"[١].

إن هذه البلاغة الخالدة الآسرة، تجعل المتقلين يظنون أنها صنعت صنعة المتكلف، وسبكتها يد صَناع متحرِّف إلى خِلابة البيان، ولكن الحقيقة: أن "هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة"[٢].

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة الأسلوب الخبري أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .، عَنِ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"[٣].

النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . يصحح مفهوم الناس للمسلم والمهاجر، فأصل الوضع اللغوي: أن "الإِسْلامُ والاسْتِسْلامُ: الِانْقِيَادُ. والإِسْلامُ مِنَ الشَّرِيعَةِ: إِظهار الْخُضُوعِ وإِظهار الشَّرِيعَةِ وَالْتِزَامُ مَا أَتى بِهِ النَّبِيُّ، . صلى الله عليه وسلم . ، وَبِذَلِكَ يُحْقَنُ الدَّمُ ويُسْتَدْفَعُ الْمَكْرُوهُ، وَمَا أَحسن مَا اخْتَصَرَ ثَعْلَبٌ ذَلِكَ، فَقَالَ: الإِسْلامُ بِاللِّسَانِ والإِيمان بِالْقَلْبِ. التَّهْذِيبِ: وأَما الإِسلام فإِن أَبا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ بَشَّارٍ قَالَ: يُقَالُ: فُلَانٌ مُسْلِمٌ وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحدهما: هُوَ المُسْتَسْلِمُ لأَمر الله، وَالثَّانِي: هُوَ المُخْلِصُ لله العبادةَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: سَلَّمَ الشيءَ لِفُلَانٍ، أَي: خَلَّصَهُ، وسَلِمَ لَهُ الشيءُ أَي: خَلَصَ لَهُ"[٤].

وأصل الوضع اللغوي للمهاجر: أن "كلُّ مَن فارَقَ بَلَدَه من بَدويٍّ أَو حَضَرِيٍّ،

(١) دلائل الإعجاز، (٢٨٦).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، (ص١٩٣).

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه، (١/ ١٣).

(٤) لسان العرب، (١٢/ ٢٩٣).

أَو سَكَنَ بَلَدًا آخَرَ، فَهُوَ مُهاجِرٌ، والاسمُ مِنْهُ: الهِجْرَة"(١).

وقد اصطفى البيان النبوي الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا؛ لنسج فكرته، حيث قصد النبي . صلى الله عليه وسلم . إفادة المخاطبين نفس الحكم، وهو ما سماه البلاغيون: فائدة الخبر.

هذا، وقد ساق البيان النبوي الخبر بلا مزيد تأكيد؛ لبيان أن الخبر من الحقائق الراسخة، التي لا تحتاج إلى تأكيد، فهو مما لا يُشك فيه، ولا يصل إليه ريب.

وقد أسهم مع الأسلوب الخبري المحوري أسلوب القصر، الذي طريقه: تعريف الطرفين، ففي الجملتين: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" عُرِّف المسند إليه بأل، وعرف المسند بالموصولية. وفي ذلك قصر موصوف على صفة، وفي ذلك القصر الحقيقي توكيد للفكرة وتصحيح لمفاهيم المتلقين، ولفت لأنظارهم نحو دلالات جديدة لم يألفوها من قبل لهاتين اللفظتين: "المسلم . المهاجر".

إن سوق المعنى عن طريق الإسناد الخبري، اختصر الكلام اختصارًا، مما جعل الصورة اللفظية الموجزة للنظم تعلق بالذهن، وتستقر في النفس، وتسير مسير الحكم السائرة، ولِمَ لا؟ وقد قَصُرت العبارة، وكثر المعنى، وقوي السبك، وأخذ الكلام بعضه بعناق بعض، ففي الحديث إيجاز قصر، "وإيجاز القصر يكون بكثرة المعاني مع قِصَر الألفاظ من غير حذف فيها، وهذا يأتي من أن اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة، بل تتنوع دلالته"(٢).

هكذا كان بيان تلك النفس المحمدية بيانًا كاملًا كصاحبه، "ومن كمال تلك النفس العظيمة، وغلبَةِ فكره . صلى الله عليه وسلم . على لسانه: قل كلامه وخرج

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (١٤/ ٣٩٧).

(٢) البلاغة العالية . علم المعاني، الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدي، (ص١٢٢)، مكتبة الآداب . القاهرة، ١٤١١هـ.

قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة، والكلمات المعدودة بكل معانيها، فلا ترى من الكلام ألفاظًا، ولكن حركات نفسية في ألفاظ ... وكثرت جوامعُ كلِمه"(١).

ولا يستطيع لهذا البيان العالي سبيلًا إلا من صفا ذهنه، ورق فؤاده، وارتقت روحه، ونضجت فكرته، فاستطاع أن يسوق الكثير من المعاني في وجيز المباني، وهكذا كان بيانه . صلى الله عليه وسلم . فـ"كلامه . صلّى الله عليه وسلّم . ...هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه"(٢).

ولا يخفى ما تعانق مع الأسلوب المحوري (الإسناد الخبري) من اعتبار الكناية أو التعريض، في قوله . صلى الله عليه وسلم . :"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، كناية عن كون من لم يَسْلَم المسلمون من لسانه غير مسلم، ويفهم منه بطريق التعريض الذى هو الإفهام بالسياق، أن فلانًا المعين ليس بمسلم"(٣).

إن الإسناد الخبري أسلوب محوري، له مقاماتٌ تلح في طلبه، ومعانٍ لا يمكن أن يكتسيها غيره، فحُلته هي التي تجليها للمتلقين، وصورته البلاغية هي التي تقنع المخاطبين، وكلما أحكم المتكلم سبك عبارته، وأبدع في إقامة بنيته، كان له من البلاغة ما يسبق إلى القلب إمتاعًا، والعقل إقناعًا.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ص ٢٠٥).

(٢) البيان والتبيين، (١٣/٢).

(٣) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، (٣/ ٥٢٨).

المطلب الخامس: بلاغة التعريض أسلوبًا محوريًا.

من الأساليب البلاغية التي اتخذها البيان النبوي محورًا لمعانيه؛ تصحيحًا للمفاهيم، أسلوب التعريض؛ وذلك لما لهذا الأسلوب من قدرة على سوق المعاني بطريقة خفية، وفي ذلك ما يلائم طريقة النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . في تصحيح المفاهيم؛ لما فيها من رفق ولين ورحمة وأدب رفيع، ففي التعريض لا يدل على المطلوب بطريق الحقيقية، ولا المجازي، ولا اللزوم، إنما يدل على المطلوب بطريق المفهوم على سنا السياق وقرائن الحال.

والتعريض: "هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد آذاني؛ فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعًا في مقابلة الطلب، لا حقيقةً ولا مجازًا، إنما دلَّ عليه من طريق المفهوم...والتعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنما سمي التعريض تعريضًا؛ لأن المعنى فيه يفهم من عرضه: أي: من جانبه، وعرض كل شيء: جانبه"(١).

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة التعريض أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي "عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية"(٢).

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٣/ ٥٧).

(٢) صحيح مسلم، (٤/ ١٨٢٩).

النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ بالرخصة؛ لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فكره بعض الصحابة ذلك وتنزهوا عنه، فما كان من النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن ساق بيانه النبوي الشريف على منوال أسلوب التعريض؛ وهذا منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدول عن مواجهة هؤلاء القوم بالعتاب وكانوا معينين عنده، لكنه فعل ذلك؛ لغلبة الحياء عليه ولِتلطُّفِه في التأديب ولستر المعاتب، وتنزه هؤلاء عما ترخص فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غَلَط أوقعهم فيه ظن أن المغفور له يُسامح في بعض الأمور ويسقط عنه بعض التكاليف، والأمر بالعكس؛ لوجهين أحدهما: أن المغفور له يتعين عليه وظيفة الشكر كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"أفلا أكون عبدًا شكورًا" ... وثانيهما: أن الأعلم بالله وبأحكامه هو الأخشى له[1].

وأسلوب التعريض هو الملائم وحده لهذا المقام؛ فالمقام مقام نقد وتوجيه وتقويم، والتصريح في هذا المقام فيه مواجهة لا تتأتى من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواجه أحدًا بما يكره، فضلًا عن أصحابه، والكناية هي الأخرى لا تلائم المقام؛ لأنها يراد بها لازم المعنى ويجوز أن يراد بها المعنى ذاته.

إن أسلوب التعريض الذي اتخذه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محورًا لفكرته، فيه من الخفاء ما ليس في غيره من الأساليب، فالمعنى الذي يتناوله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يمكن أن تكتسيه صورٌ شتى من الأساليب، ولكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببلاغته العالية وبيانه الذي تمده روافد وحي إلهي، آثر ذلك الأسلوب على ما كان يمكن أن يؤدَّى به المعنى، وهنا تكمن المزية، يقول الإمام

(١) ينظر: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، (٢٣/ ٢٢٨)، الناشر: دار المنهاج ـ دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٣٠ هـ .

عبدالقاهر: "واعلمْ أنه إذا كان بيّنًا في الشيء أنه لا يَحتمِلُ إلاّ الوجْهَ الذي هو عليه حتى لا يُشْكِلَ، وحتى لا يُحْتاج في العلم بأنَّ ذلك حقُّه وأنه الصوابُ، إلى فكْرٍ ورويةٍ فلا مَزِيَّةَ، وإنما تكونُ المزيةُ ويجِبُ الفضلُ إذا احتمَلَ في ظاهِرِ الحالِ غيرَ الوجه الذي جاءَ عليه وجهًا آخرَ، ثمَّ رأيتَ النفسَ تَنْبو عن ذلكَ الوجهِ الآخرِ، ورأيتَ للذي جاء عليه حُسْنًا وقبولًا تعدِمهما إذا أنتَ تركْتَه إلى الثاني"(١).

ومقامات النقد والتوجيه، يلائمها أن يُبنى الكلام فيها على نمط أسلوبي يظلله الخفاء ويواريه الستر؛ حتى لا يتحول الأمر إلى تصريح ومواجهة، وفي ذلك ما يبرز حكمة الداعي الأول . صلى الله عليه وسلم . وما له من حكمة عالية وطريقة فريدة في النقد، وصدق الله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران، جزء من الآية:١٥٩]، إن الدلالة على المراد في التعريض تكون بطريق المفهوم، الذي يُعتمد فيه على قرائن الحال لا قرائن المقال.

هذا، وبناء الحديث الشريف على التعريض أسلوبًا محوريًا، حيث اعتبر البيان النبوي مع ما يؤدي به أصل المراد خَصوصية التعريض، أمر دعا إليه حال المتكلم وحال المخاطب بل والسياق الواقعي، فقد أتى المساق الشريف ملائمًا لكل ذلك معًا، وهنا تتجلى بلاغة الحديث الشريف في بنائه على التعريض أسلوبًا محوريًا، تُنسج على من منواله الفكرة التي أراد البيان النبوي أن يبوح بها.

ومن النماذج الحديثية التي تتجلى من خلالها بلاغة التعريض أسلوبًا محوريًا في تصحيح المفاهيم، ما روي «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ. فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ؟! أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟! فَإِذَا تَنَخَّعَ

(١) دلائل الإعجاز، (ص٢٨٦).

أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا، وَوَصَفَ الْقَاسِمُ، فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ"(١).

النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . يصحح مفهومًا سلوكيًا، حيث إن أحد الناس تنخَّع في حائط قبلة المسجد، فلما رأى النبي . صلى الله عليه وسلم . ذلك، أخذ يصحح المفاهيم، من خلال هذا الحديث النبوي الشريف.

لقد بنى النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . بيانه على التعريض أسلوبًا محوريًا، حيث أتى أسلوب التعريض بمثابة عمود الخيمة، فعليه يقوم نظم الكلام، أما الأساليب البلاغية التي أتت مع التعريض فقد تعانقت معه للوفاء بحق المعنى.

ولقد استهل النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . بيانه بأسلوب التعريض، يقول: "مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ؟!" فأخفى بيان النبوة ذلك الرجل الذي تنخَّع في جموع الناس، وخاطبه في صحبتهم، حيث إن الدلالة في التعريض بطريق المفهوم لا بطريق الدلالة اللفظية حقيقة أو مجازًا، ولا بطريق لازم اللفظ، ولا بطريق قرينة المقال، وذلك غاية الخفاء والستر، وهو ما يناسب حال المخاطِب، صاحب الخلق الكريم . صلى الله عليه وسلم . ، الذي لا يواجه أحدًا بما يكره، ولا ينصح أحدًا بعينه على الملأ، وإنما يكسو معانيه صورًا لفظية فيها من الخفاء ما يلائم المقام.

وفي التعريض كذلك ما يلائم المقام وهو مقام النقد والنصح والإرشاد، ومن ثَم اعتبر النبي . صلى الله عليه وسلم . خَصوصية أسلوب التعريض. ولو أن البيان النبوي اتخذ سبيل التصريح، فواجه الفاعل بقبيح فعله، لصار للكلام طرفان: أحدهما: النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . ، والآخر: الرجل المتنخع في القبلة

(١) صحيح مسلم، (١/ ٣٨٩).

فحسب، أما ابتناء الكلام على التعريض ففيه من العموم والشيوع، ما يجعل كل من يصل إليه الخبر يضع نفسه موضع المخاطَب، فهو لاشك واقع في دائرة المخاطَبين، وهذا وجه من البلاغة فيه من الخِلابة ما لا يخفى.

وبعد أن استهل النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . بيانه بالتعريض الذي هو الأسلوب المحوري، استكمل قائلًا: "أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟!" فيستفهم استفهامًا مجازيًا، خرج عن حقيقته التي هي طلب الفهم إلى أغراض بلاغية أخرى، ألا وهي: النفي والإنكار واللوم. وفي ذلك الاستفهام ما يُلح على النفس الإنسانية المتلقية، ويتردد في مطاويها، ولا يزال كذلك حتى تستشعر النفس المتلقية قبح ذلك الفعل وتنكره.

هذا، وقد أتى الاستفهام شائعًا مما يتناسب مع التعريض. ثم أخذ النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . يوجه كل من يَعرض له هذا الموقف بالطريقة التي بنبغي له أن يسلكها، يقول: "فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا وَوَصَفَ الْقَاسِمُ، فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ".

إن للتعريض أحوالًا تدعو المتكلم لاعتباره أسلوبًا محوريًا، عليه يبنى الأسلوب، ولعل أبرز هذه الأحوال هي النقد والتقويم، ومع الأسلوب المحوري تتعانق أساليب أخرى؛ لأداء المعنى المراد.

الخاتمـــة:

وفيها أهم نتائج البحث، وهي كما يلي:

- البيان النبوي الشريف كلام رباني المعاني، محدي اللبنات والمباني، وله خَصوصيات بلاغية لا تتوافر في غيره من ألوان البيان العربي، منها: "خصوصية الأسلوب المحوري"، فالمتأمل في ذلك البيان الشريف تستوقفه تلك الخَصوصية، حيث يبنى الحديث على أسلوب محوري رئيس، تتعانق معه أساليب بلاغية أخرى؛ وفاءً بحق المعنى المراد.
- إن الأسلوب المحوري في بيان النبوة، بمثابة روح تسري في جسم البنية التركيبية للحديث، فتشتبك بذلك الجسم اشتباك الماء بالغصن الأخضر، إنها تتغلغل في مطاويه، وتنساب في نواحيه، فتلقي عليه بظلالها، وتخلع عليه من ردائها، وتنفخ فيه من ذاتها، فتتردد أنفاسها في جنباته، فتأتي على كل شيء فيه. وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ أثر ذلك الأسلوب المحوري في كل جزئية من جزئيات نظم الحديث، ومن ثَمَّ يُوحد بين البنية التركيبية للحديث، فتراها متشحة بوشاح ذلك الأسلوب المحوري من مُبتدَى الحديث حتى منتهاه.
- لكل مقام أسلوب محوري يلائمه، فما يصلح في مقام لا يصلح في آخر، وكل معنىً يكتسي أسلوبًا محوريًا يلائمه.
- لقد ولدت خَصوصية الأسلوب المحوري من رحم أسلوب الإيجاز الذي تميز به بيان النبوة الشريف، فالأسلوب المحوري أثمره الإيجاز.
- إنه لما كانت الأنفس البشرية تترسخ في عوالمها مفاهيم شتى، تستجيب فيها لداعي الهوى، وما فطرت عليه من مركوزات راسخة، فضلًا عن الموروثات الخاطئة؛ كانت تلك الأنفس في حاجة ماسة لهدي النبوة وما له من منهج قويم يصحح المفاهيم؛ لتمضي النفس في رحاب أنوار الوحي الإلهي، فكلما رأى النبي . صلى الله عليه وسلم . فهمًا غير صحيح، سطعت أنوار بيانه الشريف، تقوم

اعوجاج المفاهيم، وتأخذ بأيدي أصحابها في أسلوب بياني يعتلي ذروة سنام البيان البشري، والأدب الإنساني.

- لا شك أن تصحيح المفاهيم المستقرة في أخلاد الناس مَهَمَّةٌ شريفة وشاقَّة، تدخل في دائرة البلاغ المحمدي المبين عن الإرسال السماوي، فما أصعب أن تغير المفاهيم المتأصلة في النفوس، فهذا أمر يحتاج إلى اعتبار خَصوصيات تعبيرية بعينها في صياغة المعاني، وذلك حتى تتأثر القلوب، وتقتنع العقول، وتستقيم المفاهيم مع أنوار المنهج النبوي الشريف، الذي تمده روافد أنوار المنهج الإلهي.
- لقد سلك بيان النبوة طرقًا شتى، وأساليب عدة في تصحيح المفاهيم، وتقويم الأفكار، وقد كانت تلك الأساليب محاور تنبني عليها أركان تلك الأحاديث، فكل حديث شريف يقوم على أسلوب محوري، تتعانق مع ذلك الأسلوب أساليب أخرى؛ للوفاء بحق المعنى المراد، وقد أتت الأساليب المحورية ملائمة للمقامات التي استعملت فيها، وهذا من كمال البلاغة النبوية.
- من أهم مزايا بناء الحديث الشريف على أسلوب محوري، ذلك التماسك الذي نلمحه في بنية الأحاديث الشريفة، وتلك مزية لنظم المعاني لا يخفى أثرها.
- من الأساليب المحورية التي بُني عليها البيان النبوي في تصحيح المفاهيم أسلوب القصر، وذلك في المقامات والسياقات التي اقتضت ذلك.
- أسلوب الحوار من تلك الأساليب المحورية التي على منوالها نظم البيان النبوي معانيه في مقام تصحيح المفاهيم، وقد اتخذ الحوار سبيلًا بالغًا في البيان النبوي تصحيحًا للمفاهيم؛ فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقنع المخاطبين من أهل البلاغ بالحوار، حتى يأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد.

- من تلك الأساليب البلاغية المحورية التي اكتست المعاني النبوية الشريفة تصحيحًا للمفاهيم، أسلوب الاستفهام، فقد اقتضت مقامات بعينها ذلك الأسلوب؛ لما له من خصوصيات أسلوبية لا تتوافر لسواه.
- الإسناد الخبري أسلوب بلاغي له سماته التي تميزه عن غيره من الأساليب البلاغية، فله مزية الحكم؛ إذ يثبت حكمًا لمحكوم عليه، ويفيد المخاطب الفائدة أو لازمها، وقد تقتضي مقامات بعينها اعتبار ذلك الأسلوب البلاغي؛ ليكون محورًا يبنى عليه المعنى النبوي الشريف.
- من الأساليب البلاغية التي اتخذها البيان النبوي محورًا؛ لتصحيح المفاهيم أسلوب التعريض، وذلك لما لهذا الأسلوب من قدرة على سوق المعاني بطريقة خفية، وفي ذلك ما يلائم طريقة النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . من رفق ولين ورحمة وأدب رفيع، ففي التعريض لا يدل على المطلوب بطريق الحقيقية ولا المجاز ولا اللزوم، إنما يدل بطريق المفهوم على سنا السياق وقرائن الحال لا المقال.

ثَبَت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية . القاهرة، ط السابعة، ١٣٢٣هـ.
- أسرار البلاغة، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، تح/محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، بدون تاريخ.
- الأسلوب، الأستاذ/ أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط الثانية عشرة، ٢٠٠٣م.
- إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تح/ د. يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط الأولى، ١٤١٩ هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح/ د. محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط الثالثة، بدون تاريخ.
- البلاغة العالية . علم المعاني، الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب . القاهرة، ١٤١١هـ.
- البلاغة النبوية، د/ محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية . القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م .
- البيان والتبيين، الجاحظ، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح/ جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون تاريخ.
- التصوير البياني في شعر المتنبي، د/ الوصيف هلال الوصيف، مكتبة وهبة . القاهرة ، ط الأولى، ٢٠٠٦م .
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه

وسلم . وسننه وأيامه، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د/ مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة ، مصورة عن السلطانية، ط١، ١٤٢٢هـ.

- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تح/ د: فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى، ١٤١٣هـ.
- حاشية الدسوقي على شرح السعد، الشيخ/ محمد أحمد الدسوقي، مطبوع ضمن شروح التلخيص، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة، بدون تاريخ.
- الحوار النبوي . دراسة بينية، د/ وضحى مسفر القحطاني، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد السابع والثلاثون، عام ٢٠١٧م.
- دلالات التراكيب . دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه . القاهرة، ط الثانية، ١٩٨٧م.
- دلائل الإعجاز، الإمام/ عبدالقاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط الثالثة، ١٩٩٢م.
- السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تح/ أبو عبد الرحمن البحيري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا، ط١، بدون تاريخ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة،١٣٧٤هـ .
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي، محمد أبو

الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤١٩هـ .

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العصرية – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس/ خليل شحادة، ط دار الفكر. بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، تح/ د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تح/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ .
- كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.
- كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة، ١٣٣٠هـ .
- الكتاب، سيبويه، تح/ الشيخ: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط الثانية: ١٤٠١هـ .
- الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، الناشر: دار المنهاج ـ دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، ط الثالثة،

١٤١٤هـ.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح/ د: أحمد الحوفي، د: بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ، بدون تاريخ .
- مختار الصحاح، الرازي، تح / يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية . بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم . دمشق، الدار الشامية . بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الأنصاري، تح/ سليمان بن دريع العازمي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٦ هـ .
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ/ ابن يعقوب المغربي، مطبوع ضمن شروح التلخيص، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة، بدون تاريخ.
- النحو الوافي، د/ عباس حسن، دار المعارف . القاهرة، ط الخامسة عشرة، بدون تاريخ.

ثَبَت المو الموضوعات:

الموضوع	ص
الملخص باللغة العربية	٤٩١
الملخص باللغة الإنجليزية	٤٩٢
مقدمة.	٤٩٣
مهاد نظري، وفيه:	٤٩٧
أولًا: تحرير المصطلحات.	٤٩٧
ثانيًا: بلاغة الأسلوب المحوري في أحاديث تصحيح المفاهيم.	٤٩٩
المطلب الأول: بلاغة القصر أسلوبًا محوريًا.	٥٠٢
المطلب الثاني: بلاغة الحوار أسلوبًا محوريًا.	٥١١
المطلب الثالث: بلاغة الاستفهام أسلوبًا محوريًا	٥١٨
المطلب الرابع: بلاغة الإسناد الخبري أسلوبًا محوريًا.	٥٢٦
المطلب الخامس: بلاغة التعريض أسلوبًا محوريًا.	٥٣٢
الخاتمة.	٥٣٧
ثبت المصادر والمراجع.	٥٤٠
ثبت الموضوعات.	٥٤٤